التي كانت على البابين وكتب عوضها بالسرياني » (١)

وقال في أخبار من عين في المراتب بعد الوقعة الهولاكية ببغداد « وعز الدين بن أبي الحديد كاتب السلة فلم تطل أيامه وتوفي ، فرتب عوضه ابن الجمل النصراني » (٢) وعرض بهذه الغزوة الصليبية شمس الدين الكوفي إذ قال يرثي بني العباس :

ربع الهداية أضحى بعد بعدهم معطلا ودم الاسلام منسفك (٣)

ومما زاد شراسة هولاكو على المستعصم أن أحد أبناء عمه من السلاطين وهو بركة خان ، كان قبل وقعة بغداد قد أسلم وراسل الخليفة المستعصم وصادقه ، فاشتدت العداوة بينه وبين هولاكو من جهة السياسة والملك ، ومن جهة الاسلام والوثنية وحماية النصرانية ، وكان بركة خان مستولياً على شمال ارمينية وشمال جبال القبق (قفقاسية) ، فلما سمع بنكاية هولاكو جد في محاربته وشرد بجنوده في وقعات عدة ، كانت عاقبة أخراهن ان مات هولاكو كمداً وأسفا لانكسار جيوشه ، وانتفع مماليك مصر بهذه العداوة . (٤)

القاهرة مصطفى جواد

(١) الحوادث سنة ٦٥٦
(٢) الحوادث سنة ٦٥٦
(٣) اسمه صفي الدولة سليمان
(٤) أخبار غازان وبلغار لـ « م م الرومي »

حاضر العالم الإسلامي
تأليف لوثروب ستودارد الامريكي
علق عليه بحواشي قيمة مستفيضة
الأمير شكيب أرسلان
يطلب من مكتبة ومطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر
بجوار سيدنا الحسين تليفون ٥٠٨٥٦ صندوق بوستة الغورية نمرة ٦ . مصر

٤ — ابن قلاقس

(٥٣٢ — ٥٦٧ هـ (١١٣٨ — ١١٧٢ م)

(تتمة)

أما ما صادفه من ممدوحيه فهو السعة والرخاء والعطاء الجم ، وان كنا لا نشك في انه قد أصابه الاخفاق أحيانا كثيرة مما دعاه الى ان يقول :

فان ألمت بك الرزايا او قرعت بابك الخطوب
فجانب الناس وادع من لا تكشف إلا به الكروب
من يسأل الناس يحرموه وسائل الله لا يخيب

ولا نشك كذلك في ان الوشاة كثيرا ما كانوا يسعون بالافساد بينه وبين الممدوحين ، وكثيرا ما كان هو يتنصل من دعاويهم وأقاويلهم ، ويحسن بها أن نورد قطعة صغيرة من نماذج شعره في المدح ، قال :

وهنيئا له أبا القاسم الند ب نهاني ، فما أقول الهناتا
هو بحر وما يكدره الحا سد إن بات فيه يلق القذاتا
ساقني فضله فأسكنني الدو ر وأسكنته أنا الابياتا
واقتسمنا ، فكان عارض غيث عشت في ظله وكنت النباتا
كرم ينجز العداة وسلطا ن على رسمه يبذ العداتا

أما غزل شاعرنا فهو أقل شعره جودة وجمالا : ذلك أنه قد تعمد فيه الأكثار من المحسنات اللفظية ، مما دعا إلى غرابة الشعر واحتياجه إلى فهم وتثبت وروية ، والغزل إن لم يكن معناه سريعا إلى القلب يسبق لفظه إلى الفهم يصبح ثقيلا على النفس ، ليس له حظ من جمال الشعر ، فضلا عن أن المعاني التي كان يجيء بها معان صغيرة لا تحتاج إلى كل هذا التكلف ، ويعد من أجل ما قاله في الغزل قوله :

سددوها من القدود رماحا وانتضوها من الجفون صفاحا
يالها حالة من السلم حالت فاستحالت ولا كفاح كفاحا
صح إذ أذرت العيون دماء أنهم أتخنوا القلوب جراحا
عجبا للجفون ، وهي مراض كيف تستأثر العيون الصحاحا
آه من موقف يود به المغ رم لو مات قبله ، فاستراحا
وجناح النوى تضم ظباء لم تخف في دم الأسود جناحا

وهي تدلك على قصر باع شاعرنا في الغزل ، وقد يكون ذلك

راجعا إلى أن عاطفته التي ينبعث منها الغزل كانت فقراء مجدبة ، إذ هو ليس إلا رجل عمل وأسفار .

أما الوصف فهو كثير في شعره ، وهو يصف لك ما رآه وشاهده في مصر وفي غيرها من تلك البلاد التي رحل اليها ، ولقد كان للنيل ولمنارة الاسكندرية حظ في وصفه ، وهناك منظر من طبيعة مصر قد رسمه شعرا يوم قال :

أنظر الى الشمس فوق النيل غاربة ... واعجب لما بعدها من حمرة الشفق
غابت وأبدت شعاعا منه يخلفها ... كأنما احترقت بالماء في الغرق

وفي الحق انه منظر يثير في النفس حب الجمال وحب الطبيعة . ذلك المنظر هو منظر غروب الشمس حيث تختفي وراء الأفق تاركة وراءها حمرة الشفق بازغا بعدها الهلال . كما كان لوصف أسفاره ، ووصف ما ركبه في تلك الأسفار حظ أي حظ في شعره ، فوصف لنا الفرس ، ووصف لنا السفينة ، ووصف لنا ما كان يلاقيه في سفره ، ولعل من أجمل ما قاله في الوصف تلك القصيدة التي يصف لنا فيها سفرة من أسفاره ، ويحدثنا عن البحر وهدوئه ثم عصفه وارعاده ، ثم يعطف على السفينة فيصفها ، ثم على إخوانه فيشوق اليهم ، قال :

لو لم يحرم على الأيام انجادي ... ما واصلت بين اتهامي وانجادي
طوراً أطير مع الحيتان في لجج ... وتارة في الفيافي بين آساد
والناس كثر ولكن لا يقدر لي ... الا مصاحبة الملاح والحادي
أقلعت والبحر قد لانت شكائمه ... جداً ، وأقلع عن موج وإزباد
بساد لا عاد ذا ريح مدمرة ... كأنها أخت تلك الريح في عاد
ونحن في منزل يسري بساكنه ... فاسمع حديث مقيم داره غادي
لا يستقر لنا جنب بمضجعه ... كأن حالاتنا حالات عباد
فكم يصعر خد غير منصعر ... وكم يخر جبين غير سجاد .. الخ

أما حين يحدثنا عن الطبيعة ويصفها فهو يشعرك أنه تلميذ لابن المعتز لكثرة تشبيهاته وتضمين معانيه . وان شئت أن تتأكد من ذلك فاقرأ قوله .

سرت وجبين الجو بالطل يرشح ... وثوب الغوادي بالبروق موشح
وفي طي أبراد النسيم خميلة ... بأعطافها نور الربا يتفتح
تضاحك في مسرى العواصف عارضا ... مداه في وجنة الروض تسفح
وتوري به كف الصبا زند بارق ... شرارته في لمة الليل تقدح
تفرس منها البدر في متن أشقر ... يلاعب عطفيه النسيم فيمرح

باقي أغراض الشعر التي طرقها قليلة ، ولكنه في هجائه تصير موجع بالرغم من ندرة الهجاء في شعره ، ورثاؤه قليل كذلك ، وهو لا ينسى فيه المحسنات اللفظية والجمال البديعي ، أما عتابه فقليل كذلك ، وهو يشتد ويوجع فيه ثم يلين ويرق ، بعد أن يكون قد أوجع ، واسمعه يعاتب :

أقبل بوجهك إني عنك منصرف ... فما أقول لسؤالي ؟ وما أصف؟
خدعت في وعرتك الضراعة بي ... ومال تيهابك الاعجاب والصلف
وكان من سيئاتي أنني أبداً ... إليك في سائر الحالات أختلف

إلى أن قال :

أنت الكريم وقد قال الألى مثلا ... إن الكرام إذا ما استعطفوا عطفوا

متى أقول : صباح لاح شارقه ... فضم رحلك وارحل أيها السدف

تلك أهم أغراض الشعر التي طرقها ابن قلاقس

لم يعمر شاعرنا طويلا كما ذكرت ، بل مات وهو في سن الخامسة والثلاثين ، ويخيل الى أن الهرم أصابه سريعا حتى صح له أن يقول وهو في سن الثلاثين :

مدت الى الأربعو ... ن يد أوقد قهقرت عشرا

فكنت تراه في سن الثلاثين كأنه قد أوفى على الاربعين ، ولعل الشيب قد لحقه سريعا ، فمضى يذم الشيب ويتحسر على فقد الشباب شأن كل شاب يريد أن يتمتع بالحياة فيلحقه الشيب ، ويغير على لمته ؟

احمد احمد بدوي
المدرس المنتدب بثانوية نابلس

ظهر حديثا

أبو علي عامل أرتست

مجموعة من القصص المصرية العصرية

للاستاذ محمود تيمور

يطلب من المكاتب الشهيرة وثمنه خمسة قروش صاغاً